علم البديع: المحسّنات اللّفظية والمعنوية

تمهيد:

عرفنا فيما سبق أنّ **علم البلاغة** يتشكّل من ثلاثة علوم أساسيّة، ألا وهي:

علم البيان وسيلة إلى تأدية المعنى بأساليب عدّة بين تشبيه ومجاز وكناية و...، وعرفنا كذلك أنّ دراسة **علم المعاني** تعين على تأديّة الكلام مطابقا لمقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من سياقه وما تحيط به من قرائن.

وهناك ناحيّة أخرى من نواحي البلاغة، لا تتناول مباحث علم البيان، ولا تنظر في مسائل علم المعاني، ولكنّها دراسة لا تتعدّى تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعيّة من الجمال اللّفظي أو المعنويّ، ويسمّى العلم الجامع لهذه المباحث **بعلم البديع**، ويتشكّل عذا العلم بدوره من نوعين من المحسّنات، لفظية ومعنويّة.

1/ المحسّنات اللّفظية:

كثيرة ومتعدّدة أشهرها: (الجناس، السّجع، التّرصيع، التّشريع، التّسميط، التّطريز، .....)، لا يسعنا المجال لذكرها جميعا والتّفصيل فيها، لذلك نكتفي بذكر الاقتباس.

الاقتباس: هو تضمين **النّثر** أو **الشّعر** شيئا من **القرآن الكريم أو الحديث الشّريف** من غير دلالة على أنّه منهما، ويجوز أن يغيّر في الأثر المقتبس قليلا.

مثال: قول عبد المؤمن الأصفهاني: "لا تغرّنك من الظّلمة كثرة الجيوش والأنصار "إنّما نؤخّرهم ليوم تشخص فيه الأبصار".

-وقال ابن سناء الملك: رحلوا فلست مسائلا عن دارهم+++أنا باخع نفسي على آثارهم.

(بخع نفسه: قتلها غمّا).

-وقال أبو جعفر الأندلسيّ:

-لا تعاد النّاس في أوطانهم+++فلمّا يرعى غريب الوطن

وإذا ما شئت عيشا بينهم+++++خالق النّاس بخلق حسن.

(يرعى غريب الوطن: أي يلحظ بالإحسان).

2/ المحسّنات المعنوية:

-كثيرة هي الأخرى ومتعدّدة ولا يسعنا المجال لذكرها جميعها أبرزها:(التّورية، الطّباق، المقابلة، حسن التّعليل، العكس، الإبداع.....)، لذلك نكتفي بذكر:

أسلوب الحكيم: هو تلقّي المخاطب بغير ما يترقّبه، وذلك بطريقتين:

-**الأولى:** إمّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله.

-**الثّانية:** وإمّا بحمل كلام المتكلّم على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيها له على أنّه كان ينبغي له أن يسأل هذا السّؤال، أو يقصد هذا المعنى.

المثال الأوّل: ما فعل القبعثريّ بالحجّاج: إذ قال له الحجّاج متوعّدا (لأحملنّك على الأدهم)، يريد الحجّاج: القيد الحديد الأسود، فقال القبعثريّ: "مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب"، يعني الفرس الأسود، والفرس الأبيض، فقال له الحجاج: أردت الحديد فقال القبعثريّ: لأن يكون حديدا خيرا من يكون بليدا، ومراده تخطئة الحجّاج بأن الأليق به الوعد لا الوعيد.

-سبب ذلك أنّ الحجّاج بلغه أنّ القبعثري لمّا ذكر الحجّاج بينه وبين أصحابه في بستان، قال اللّهم سوّد وجهه، واقطع عنقه واسقني من دمه، فوشي به إلى الحجّاج فلّما مثل بين يديه، وسأله عن ذلك، قال: إنّما أردت "العنبب" فقال له الحجّاج ما ذكر-.

-سئل تاجر: كم رأس مالك؟ فقال: إنّي أمين، وثقة النّاس بي عظيمة.

-وقال شاعر: طلبت منه درهما+++يوما فأظهر العجب

وقال ذا من فضّة+++يصنع لا من الذّهب.

-**ومثال الثّاني:** قوله تعالى: "يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السّبيل". البقرة، آ215.

-الآية نزلت على النّبي (ص) حين سئل عن حقيقة ما ينفقون، فأجاب ببيان طرق إنفاق المال تنبيها لهم على أنّ هذا هو الأولى بالسّؤال عنه.

-وقال تعالى: "يسألونك عن الأهلّة، قل هي مواقيت للنّاس والحجّ". البقرة، آ189.

-حيث كان سؤال بعض الصّحابة عن علّة تغيّر شكل الهلال، ولماذا يبدأ دقيقا ثمّ ينمو حتّى يكتمل ثمّ يعود للنّقصان، كان من المتوقّع إجابة علميّة أو فلكيّة تشرح كيفيّة تكوّن الهلال، فجاءت الإجابة عن فائدته أو الجدوى منه(الغاية)، وذلك لتقديم الأهمّ على المهمّ.

-الفوائد البلاغيّة والتّربوية من الآية:

-التّوجيه إلى الأنفع.

-ربط العبادات بالوقت.

-تيسير حياة النّاس.

-التّربية على ترك الفضول.